

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله العلي العظيم ، خالق السموات والأرض والناس أجمعين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، وعلى من اقتدى به وسار على هديه إلى يوم الدين ، وبعد

فهذه دراسة مكثفة للرد على ما احتواه فيلم « **الفتنة** » « **Fitna** » الذي أنتجه وبثه النائب اليميني الهولندي المتطرف رداً يحرص على العلمية والموضوعية ، ويقوم على الحجة والبرهان ، وجاءت بعد اطلاع دقيق على ما احتواه الفيلم من مشاهد وأحداث .

والغرض منه كشف تجني هذا الفيلم وتحامله على الإسلام ومحاولته الفاشلة لتشويه صورته المشرقة في المجتمع الإنساني المعاصر ، وإثارة الناس فيه ضده .

وقد أعدت هذه الدراسة بناء طلب معالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي ، وقام بإعداد أصل مادة هذه الدراسة كل من الدكتور أحمد عبد العليم عبد اللطيف ، والدكتور عبد القاهر قمر ، الباحثين بالجمع .. وقد قمت بوضع إطارها العام ومنهجها ومراجعتها بالإضافة عليها بعد مشاهدة الفيلم أكثر من مرة .

فكان بحمد الله هذا الجهد خطاباً لكل المهتمين بهذا الأمر في العالم ، والذي يحرص على مخاطبة عامة المثقفين ، وضعاً للأمور في نصابها دون إغراق في البحث والتفصيل جرى إعداده باللغة العربية وسوف تحرص أمانة المجمع على ترجمتها إلى العديد من اللغات الحية ، بالتعاون مع المراكز والهيئات المعنية في مختلف البلاد والدول .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ، وأن يطلع العالم من خلالها على الصورة الحقيقية لهذا الدين دون إطالة وتفصيل .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

أ. د . عبد السلام العبادي

أمين مجمع الفقه الإسلامي الدولي

تحريراً في : ١٤٢٩/٠٥/٠١

الموافق : ٢٠٠٨/٠٥/٠٦

المقدمة

اطلعت الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة على محتويات الفيلم الذي أنتجه النائب اليميني الهولندي المتطرف جيرت فيلدرز ، وبثه على موقع (ويكيبيديا) وغيره في شبكة الإنترنت يوم الخميس ٢٧/٣/٢٠٠٨م، بعنوان «الفتنة» .

هذه المحتويات التي استمر عرضها على مدى خمس عشرة دقيقة تهدف إلى تشويه صورة الإسلام واتهامه بالإرهاب والعنف وانتهاك حقوق الإنسان ، ومعاداة قيم الحرية والديمقراطية والثقافة التي يعتز بها المجتمع الغربي . وهو يحاول توظيف الآيات القرآنية الكريمة بنزعها من سياقها وتحميلها من المعاني ما لا تحتمل ، كما أنه يستغل كلام بعض العلماء والخطباء ، وبعض الوقائع والأحداث الفردية التي وقعت هنا أو هناك لخدمة هذا التشويه للإسلام وكتابه العزيز " القرآن الكريم " ورسوله العظيم محمد ﷺ .

وفيما يلي مناقشة علمية هادئة أساسها الحرص على الموضوعية ، والدقة في النقد ، من خلال التحليل العلمي لما أورده من أقوال ووقائع نقطة نقطة ؛ لنبين حجم التجني بالباطل الذي مورس ، ومقدار التشويه والإساءة الذي قُصد ، مما يضع الأمور في نصابها ، ويكشف أن هذا الفيلم يأتي ضمن الحملة المقصودة التي تُشن على الإسلام في هذه الأيام، بهدف إثارة المجتمع الإنساني ضده ، وزرع الكراهية ضد أتباعه على كل الأصعدة وفي جميع المجالات ، مما يتطلب منا جهوداً جادة في كشف ذلك ومواجهته بالوعي والحكمة والاتزان ، والحرص على بيان الأدلة الواضحة والحجج العميقة بلغة مفهومة وأسلوب بيّن ، ليتم تفويت الفرصة على هؤلاء الأعداء الذين يقصدون من أعمالهم هذه تحقيق جملة من الأهداف ، فهم أولاً يقصدون إثارة المسلمين ودفعهم نحو ردود أفعال غير مدروسة تُسيء للإسلام والمسلمين ، ومن ثم تُستغل من الأعداء لمزيد من التحريض ضدهم.

وهم يهدفون ثانياً إلى الوقوف في وجه انتشار الدين الإسلامي في جميع أنحاء العالم . فهذا التشويه الذي يزين بالباطل يوقع الناس في عدم معرفة الإسلام على حقيقته ، بل إظهار صورة سيئة عنه ، فكيف يؤمنون به ؟!

وهم يسعون ثالثاً إلى تشكيك بعض المؤمنين بهذا الدين من ضعفاء الإيمان ومحدودي المعرفة به وزعزعة عقيدتهم ؛ لأن أعداداً كبيرة من المسلمين ، كما هو معلوم ، لم تعد تعرف من أمر دينها إلا القليل ، وبعضها يعرف معلومات غير صحيحة ، وبخاصة من الذين يعيشون في بعض الدول غير الإسلامية ، والذين لا تتوافر لديهم

فرصة المعرفة الإسلامية الكافية مما يضعف انتماءهم للإسلام ، بل قد يُدفع بعض هؤلاء إلى الخروج من الدين، والردة عنه .

ومن المعلوم أن هذا الجهل بالدين ، بالإضافة إلى الوقوع في حبائل بعض أعداء الإسلام ، هو الذي أوجد العديد من الممارسات الخاطئة التي تُرتكب باسم الإسلام وبخاصة ما يسمى بالأعمال الإرهابية ، بالإضافة إلى أسباب أخرى ليس هنا مجال استعراضها والحديث عنها ، مثل : ظروف المعيشة البائسة والفقر والحرمان ، ومثل : الظلم والاعتداء على المسلمين بأشد أنواع العداة على المستوى الدولي ، والكيل بمكيالين في معاملتهم ومعاملة غيرهم ، كما يتجلى في عدد من قضايا المسلمين ، وبخاصة قضية فلسطين .

لذا فإن هذه المعرفة لأهداف معدي الفيلم مهمة للغاية في مناقشتهم وكشف ما أعدوه وخططوا له .

استعراض أحداث الفيلم ومحتوياته والرد عليها

وفيما يلي استعراض لأحداث الفيلم ومحتوياته مشهداً مشهداً وصورة صورة :

أولاً: اسم الفيلم : سمى معد هذا الفيلم الفيلم بـ (الفتنة) ، وهي كلمة عربية تعني إيقاع الصراع والخلاف . وقد وضعت هذه الكلمة بجوار صورة القرآن الكريم ؛ ليعطي انطباعاً بأن هذا القرآن الكريم سبب الفتنة في المجتمع الإنساني.

وهو بهذا يكشف من البداية عن هدفه من إنتاج الفيلم ، وهو إحداث الفتنة بكل صورها في هذا المجال ، وبخاصة بين المسلمين وغيرهم بتشويه صورة الإسلام واتهامه بالإرهاب والعنف ؛ ليحرك الناس ضده ، كما قدم في فيلمه السيئ ،

ثانياً: ثم يبدأ الفيلم بثلاثة أحداث :

(١) صورة مرسومة للنبي ﷺ من الرسوم الكاريكاتورية للرسام الدانمركي ، والتي أساء فيها للرسول الكريم أشد إساءة . وقد اختارها لأن الرأس فيها عبارة عن قنبلة جاهزة للانفجار ، وهو يقصد أن هذا شأن النبي الكريم، وما جاء به من دين .

(٢) أصوات متفجرات وقنابل كعنوان لما يتهم به الإسلام.

(٣) مشهد تلاوة الآية الكريمة رقم (٦٠) من سورة الأنفال ، بصوت الشيخ عبد الرحمن السديس ، وهي آية يأمر فيها الله سبحانه وتعالى المؤمنين بإعداد العدة، وبناء القوة من أجل إرهاب أعدائه وأعداء المسلمين ، وذلك لأن المسلمين إذا أصبحوا أقوياء فسوف يمتنع أعداؤهم من الاعتداء عليهم .

ومعد الفيلم في ترجمته للآية غير دلالة كلمة ﴿ تُرْهِبُونَ ﴾ الواردة فيها : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ من معناها اللغوي المقصود بها إلى المقصود بالإرهاب في الاصطلاح المعاصر ، فقال : to strike terror ، وهذا تحريف كبير لمعنى الآية الكريمة . فهي تبين للمسلمين : إنكم بإعداد العدة تخيفون أعداء الله وأعداءكم ، فلا يفكرون بالاعتداء عليكم ، أي : يرتدعون . وهذا ما يعرف في الاصطلاح المعاصر في العلاقات الدولية باسم السلام المسلح ، وفي الاصطلاح العسكري بنظرية الردع . فإعداد القوة يحفظ السلام ، ويمنع الأعداء من التفكير في الاعتداء خوفاً منها ، وإعداد القوة أمر منطقي ومشروع عند كل الأمم والشعوب وفي كل الأزمنة ، ولكن منتج الفيلم ترجم معنى الآية بالإرهاب في الاصطلاح المعاصر ، وهو يعني : الاعتداء على الآخرين ، وقتل الأبرياء والاعتداء على الأمنين، وقتل غير المقاتلين من الأطفال

والنساء والمسنين بوحشية وتآمر وغدر . وقد وقع مثل هذا من بعض المنتسبين للإسلام ومن غيرهم ، وعانت من ذلك البشرية أشد معاناة ، فالإتهام به سبة ما بعدها سبة . فهو يريد أن يقول بذكره هذه الآية الكريمة تزويراً وتحريفاً أن ممارسة هذه الأعمال يطلبها القرآن الكريم من أتباعه .

والواقع أن المفهوم الوارد في الآية لا علاقة له بالاصطلاح المعاصر للإرهاب ولا خلاف في العمل به بين دول العالم ، ولا تعارضه القوانين والمواثيق الدولية ، لذلك فكل دولة تعد لنفسها من الجيوش والقوات المسلحة التي تضمن بها عدم العدوان عليها . والإرهاب بالمعنى المعاصر أمر محرم في شريعة الإسلام والقرآن الكريم فيه الكثير من النصوص التي تحرمه ، منها: قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾^(١) .

وقوله تعالى: ﴿ **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾^(٢) .

وقوله سبحانه: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾^(٣) .

وقوله جل من قائل: ﴿ **وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾^(٤) .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾^(٥) .

وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ** ﴾^(٦) .

وقد نددت جميع المؤسسات الدينية الإسلامية بجرائم الإرهاب ، وأصدرت البيانات التي تجرمها وتحرمها ، كما استتكرتها ورفضتها جميع الدول والشعوب الإسلامية ، من منطلق حرمتها في ديننا وشريعتنا ؛ لاشتمالها على قتل الأنفس البشرية ، وتدميرها للأموال والممتلكات ، ولكونها من جرائم الظلم والإفساد في الأرض التي حرّمها الإسلام ، واعتبرتها من جرائم الحراية وجاءت عقوبتها واضحة في كتاب الله تعالى ، قال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ**

¹ (الإسراء: ٣٣).

² (المائدة: ٣٢).

³ (الأعراف: ٥٦).

⁴ (البقرة: ٦٠).

⁵ (القصص: ٧٧).

⁶ (البقرة: ٢٠٥).

فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا
مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية التي تحرم القتل وسفك الدماء والعدوان على الآخرين وممتلكاتهم ، منها : قوله ﷺ : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم »^(٢) ، وقال ﷺ : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً »^(٣) .

والآية اللاحقة لهذه الآية - التي تم عرضها في الفيلم - هي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٤) . فلماذا تنزع هذه الآية من سياقها ، وهي تأمر المسلمين بالجنوح إلى السلام إذا رغب الأعداء في ذلك ، فهل يصل التجني والتشويه إلى هذا الحد ؟.

(٤) ثم يعرض الفيلم مشهداً به صور متعددة ، أولها : ارتطام طائرتين ببرجي التجارة العالمي بنيويورك ، وصور لتفجيرات وقعت في مدينتي مدريد ولندن ، بقصد اتهام الإسلام بتبني هذه الأحداث المفجعة ، والقبول بها ، والواقع :

(أ) أنها أحداث قام بها أفراد يحملون أفكاراً لا يقرها الإسلام ، ولا المؤمنون به ، وقواعد المنطق والعدل لا تجيز أن يحكم على أمة من خلال تصرفات خاطئة يرتكبها بعض أفرادها .

(ب) إن نسبة التخطيط لجريمة الاعتداء على برجى التجارة العالمي إلى من قاموا بها من المسلمين غير مؤكدة ، فلم يثبت بأدلة قاطعة أن هؤلاء قد خططوا لها ، بل القرائن والملابسات تؤكد أن هنالك من وراءهم ممن يريدون تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، كما ذكرت بعض المصادر .

(ج) لا وجه للربط بين هذا المشهد وبين الإسلام ، حيث إن القيام بهذه الأعمال محرم في شريعة الإسلام ، كما بين العلماء وذكرنا سابقاً .

(٥) ثم يعرض الفيلم مشاهد وتسجيلات لخطباء في المساجد يحثون على الجهاد وقتل غير المسلمين ، والدعاء عليهم بالهلاك ، وفتح بلاد الغرب وفرض أحكام الإسلام فيها ، كما يلي :

(أ) المشهد الأول : قول أحد الخطباء : (إن الله يرضى بقتل غير المسلمين) .

¹ (المائدة: ٣٣ .

² (رواه الترمذي. باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن .

³ (رواه البخاري، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم .

⁴ (الأنفال: ٦١ .

إن هذا الكلام لا يتفق مع مبادئ الإسلام وأحكامه التي تحث على حسن معاملة سائر البشر، وتنتهى عن قتل الأنفس. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

ورضا الله تعالى وعدم رضاه بقتل الناس لا يعلمه إلا هو ، ولا يجوز لعاقل أن يدعيه على الله تعالى الذي هو رب الناس أجمعين ، الذي جعل قتل نفس واحدة كقتل الناس أجمعين ، وإحياء نفس واحدة كإحياء الناس أجمعين ، يقول جل وعلا في كتابه الكريم : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٣).

(ب) دعاء أحد الخطباء بهلاك الكفار والمشركين جميعا دون تمييز.

هذا الدعاء ومثله لا يصدر عن المسلمين إلا على المعتدين الغاصبين الظالمين الذين يغتصبون الأرض ويقتلون الأطفال والنساء والشيوخ بأشد الأسلحة فتكا وتدميرا وضرا بالصحة والبيئة ، ويعرضونهم للهلاك بحرمانهم من مقومات الحياة من الطعام والشراب والدواء وغيرها ، وصور ذلك واضحة في هذه الأيام في كثير من بلاد المسلمين المحتلة ، ثم إن اللجوء إلى الدعاء بهذه الصورة راجع إلى ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على مواجهة الأعداء ، فلا يجدون إلا دعاء ربهم ليخلصهم مما هم فيه من ظلم واضطهاد .

(٦) ثم يعرض الفيلم قوله تعالى - بتلاوة الشيخ السديس أيضا - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٤).

هذه الآية لا تفيد أهداف الفيلم في شيء ؛ لأنها تتحدث عن الإرادة الإلهية في إنزال عقاب الله يوم القيامة على من لم يؤمن به ، ويحاربه بإنكار قدرته وإرادته في خلقه والإساءة إلى رسله وأنبيائه وكتبه. فهي بيان لإرادة الله سبحانه في عقاب المنكرين له المتطاولين عليه وعلى ما شرعه لخير الناس وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وهو أمر غيبي أخروي لا علاقة له بموضوع الفيلم .

¹ (المتحنة: ٨.

² (ق: ١٣.

³ (المائدة: ٣٢.

⁴ (النساء: ٥٦.

ولا تتحدث هذه الآية عن كيفية معاملة المسلمين لغيرهم ، بل إنما يعرف ذلك بالعودة إلى النصوص الأخرى والتي بيّنا طرفاً منها .

(٧) ثم يعرض الفيلم مشهد رجل نائر يخاطب الجماهير المحتشدة في تظاهرة عامة ويقول- وهو يلوح بسيف- : سننتصر على اليهود ، وأن الله تعالى سينطق الحجر والشجر لإخبار المسلمين باختباء اليهود خلفهما .

هذا المشهد في حقيقته تعبير صادق عن حالة الغليان التي تحدث للجماهير العربية المسلمة من جراء ما يتعرض له الفلسطينيون من جرائم بشعة ومجازر بشرية وانتهاكات لحقوق الإنسان بين آونة وأخرى ، والتي جعلته يطالب المسلمين بالجهاد لنصرة إخوانهم المعتدى عليهم ، وهو أمر مشروع في الإسلام لنصرة المستضعفين من المسلمين وغيرهم . وهو لا خلاف فيه بين الأمم والشعوب . وتخصيص الخطباء اليهود بالذكر وحث المسلمين على قتالهم هو إفراز طبيعي لحالة العداة القائمة والمستمرة منذ الاحتلال الذي قام به اليهود للأراضي العربية في فلسطين وغيرها . ولو لم يكن هذا الاحتلال قائماً لما وجدت حالة العداة هذه بين المسلمين واليهود أصلاً ، كما أننا على يقين بانتهائها عندما يحصل أصحاب الحقوق على حقوقهم ، والدليل على ذلك حالة السلام السائدة بين المسلمين وغيرهم مع سائر دول العالم ، ويؤكد هذا ما بينته قرارات مؤتمرات القمة العربية والإسلامية .

وكلام هذا الخطيب النائر فيه إشارة إلى الحديث الذي يخبر فيه النبي ﷺ عن معركة ستشعب في آخر الزمان بين المسلمين واليهود ، ويذكره العلماء على أنه من أشرط يوم القيامة ونهاية العالم . وهو من الأمور الغيبية التي نؤمن بوقوعها لإيماننا بصدق خبر نبينا صلى الله عليه وسلم الذي أكدت الأحداث والوقائع والعلم الحديث صدق أخباره . وقد جاء الحديث النبوي مشيراً بوضوح إلى أن ما سيفعل بيهود هو جزاء عدوانهم واحتلالهم لأرض المسلمين ، وليس عقوبة على مخالفتهم للمسلمين في الدين والعقيدة . ومثل هذا الإخبار الغيبي عن النبي ﷺ ما ورد عنه في نزول السيد المسيح ﷺ في آخر الزمان .

(٨) ثم يعرض الفيلم مشهداً تظهر فيه طفلة عمرها ثلاث سنوات ونصف ، تسألها امرأة عن مشاعرهما تجاه اليهود ، فتجيب بأنها تكرههم ، وتصفهم بأنهم قردة وخنازير ، لأن الله تعالى قد وصفهم بذلك في القرآن الكريم .

هذا المشهد يحاول إثبات أن المسلمين يغرسون في أطفالهم كراهية اليهود وعداوتهم . والحق أنه قد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية في معرض الحديث عن عصيان اليهود ومخالفتهم لأوامر الله تعالى أن طائفة منهم في العصور الماضية عاقبهم الله على عصيانهم ومخالفتهم لأوامره بمسخهم قردة وخنازير ، وهذا أمر غيبي أخبرنا

اللَّهِ بِهِ ، وَلَا جَدْوَى مِنَ النَّقَاشِ فِيهِ ، وَبِخَاصَّةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْتَبْ عَلَيْهِ أَيَّ حُكْمٍ عَمَلِيٍّ يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْيَهُودِ ، بَلْ إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مَيَّزَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعَقَائِدِ الْآخَرَى ، وَطَلَبَ مُعَامَلَتَهُمْ مُعَامَلَةً حَسَنَةً خَاصَّةً ؛ لِكُونِهِمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَأَتْبَاعُ دِيَانَاتٍ سَمَاوِيَّةٍ ، فَأَبَاحَ لِلْمُسْلِمِينَ نِكَاحَ نِسَائِهِمْ وَأَكَلَ مَا أَكَلُوا مِنْهُمْ ، وَأَكَّدَ عَلَى أَنَّ مُعَامَلَتَهُمْ فِي مَجْتَمَعِهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُعَامَلَةً قَائِمَةً عَلَى احْتِرَامِ عَقَائِدِهِمْ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَحَقُوقِهِمْ مَا دَامُوا لَمْ يَعْتَدُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، كَمَا بَيَّنَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(١) **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴿^(١)﴾ فالأصل في معاملتهم البر والمودة والعدل ، وهي أعلى صور المعاملة الحسنة . والواقع أن سياق هذا المشهد ، وما جرى من حوار مع هذه الطفلة ، يوحي بأنه مفتعل ظناً من معدي الفيلم أنه يخدم هدفهم .

(٩) ثم يعرض الفيلم مشهداً من الصومال يظهر فيه شباب وأطفال يسحبون جثة جندي على الأرض، ويسيرون به في الطريق.

هذا المشهد وإن كان قد صدر من بعض الشباب والأطفال الذين لا يعرفون شيئاً عن أحكام الإسلام بحق الموتى وقتلى الأعداء، وهو وإن كان كرد فعل على ما تم ارتكابه بحقهم ، إلا أننا نؤكد مخالفة ذلك للأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام، والتي تأمر باحترام الكرامة الإنسانية، والنهي عن التمثيل بموتى وقتلى الأعداء في الحروب وغيرها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾^(٢) . وقد جاءت أحاديث النبي ﷺ التي تنهى عن التمثيل بجثث الأعداء، وهي كثيرة، منها ما رواه البيهقي بسنده إلى بريدة ؓ أن رسول الله ﷺ كان يقول لأصحابه : " أغزوا في سبيل الله ، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الوليد، ولا أصحاب الصوامع ، أي الرهبان والأحبار "^(٣) . وقد جاء الحث واضحاً في القرآن الكريم على حُسن معاملة الأسرى ، قال تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾^(٤) ، كما جاء ذلك واضحاً في الحديث النبوي الشريف ، قال ﷺ: " فكوا العاني ،

¹ (المتحنة: ٨ ، ٩ .

² (الإسراء: ٧٠ .

³ (السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤ = ١٩٩٤) ج ٩ ص ٩٠ .

⁴ (الإنسان : ٨ .

يعني الأسير ، وأطعموا الجائع وعودوا المريض" (١). وقال ﷺ : " استوصوا بالأسرى خيراً " (٢) .

(١٠) ثم يعرض الفيلم مشهد خطيب يتحدث عن ذبح اليهود. وقلنا فيه ما قلناه سابقاً عن معاملة الإسلام لليهود .

(١١) ثم يعرض الفيلم مشهداً لأطفال من الكشافة يتدربون على بعض الأنشطة الكشفية .

والفيلم بذلك يحاول إقحام هذه الصورة ضمن مشاهد العنف، دون مبرر واضح، والحركة الكشفية حركة عالمية في جميع الدول، فهل يريد معد الفيلم أن يمنع المسلمون حتى من الحركة الكشفية ؟ .

(١٢) ثم يعرض الفيلم مشاهد متتالية تظهر فيها نساء منقبات يحملن لافتات تشيد بما يسمى بالحرقة النازية وبمباركة أعمال قائدها هتلر.

وهذه الصورة لا تعبر عما عليه المسلمون من مقت وتدنيد لما قام به النازي هتلر، فهو عندهم من الطغاة والجبابرة الذين لا يجوز للمسلم أن يثني عليهم أو يدعو لهم ؛ لشدة ما اقترفه من جرائم في حق الإنسانية ؛ لأن هذا لا يجوز في شريعتهم ، ولأن التسبب بقتل الملايين واستباحة المدن والحرق بالنار يعتبر من أعظم الجرائم في شريعة الإسلام، وقد نهى الرسول ﷺ عن الحرق بالنار بقوله: " لا تعذبوا بعذاب الله " (٣) .

(١٣) ثم يعرض الفيلم صوراً للمثمين يرتدون زياً خاصاً بالمقاتلين، ولآخرين غير مثمين يقفون خلف مجموعة من شيوخ الطائفة الشيعية.

أورد الفيلم صور هؤلاء وهم مجهولون لا تعرف انتماءاتهم، في محاولة لإصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين، وهي تهمة درج بعض الغربيين على نعت المسلمين بها، وهم منها براء ؛ لأنهم لا يعتدون على أحد من أي أمة أو دولة إذا لم يعتد عليهم، اتباعاً لأحكام دينهم . وغالبا ما يتم التقاط هذه الصور في البلاد التي تعاني من احتلال وظلم واضطهاد ، ويتحرك بعض أفرادها للدفاع عنها وعن أنفسهم. وخوفاً من تعرف الأعداء عليهم ، ولضعفهم يحاولون وضع مثل هذه الأفتنة .

(١٤) ثم يعرض الفيلم صفحات من المصحف وصوتاً لقارئ يتلو قول الله تعالى من سورة محمد: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثُمْهُمْ فَشُدُّوا الوُثَاقَ ﴾ ، ووقف الفيلم عند هذا الحد من الآية الكريمة استمراراً في

¹ رواه البخاري، باب فكاك الأسير.

² أخرجه البيهقي وابن أبي شيبة .

³ رواه البخاري

سياسة الإيهام والتجني ولم يكمل بقيتها حيث يقول ﷺ ﴿ فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمًّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾^(١).

وهذه الآية وردت في بيان حالة لقاء الأعداء في ميدان المعركة، وقد حاول الفيلم توظيفها باستعمال كلمة "لقيتم" في غير ما وضعت له حيث ذكرها للإيهام بها بأن القرآن الكريم يأمر المسلمين بضرب رقاب الكافرين كلما رأوهم دون سبب أو عداوة. وهو معنى مرفوض، يكذبه العديد من النصوص الواردة في الكتاب الكريم والحديث النبوي الشريف، والتي بيّنا طرفاً منها فيما سبق، كما يكذبه بناء العلاقة مع غير المسلمين على أساس العهود والمواثيق، بل إن القرآن الكريم يدعو للمحافظة على هذه العهود. قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾^(٢). بل إنه إذا خاف المؤمنون من المعاهدين غدرًا فلا يجوز مباغتتهم بالحرب بل لا بد من إعلان إلغاء العهد ومقاتلتهم بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ وَإِمًّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾^(٣). ويكذبه أيضا واقع تعايش المسلمين على مر الزمان مع غيرهم من الأمم والشعوب الأخرى.

والآية تُبين أنه في حال المعركة مع العدو فلا بد من محاربتته بكل صرامة وثبات وبقصد قتله ، ليس حُباً في القتل إنما لوقف عدوانه وأذاه ، وذلك حتى يتحقق النصر . وهذا شأن كل الأمم والأديان. فالحرب ليست نزهة أو استعراض عضلات فقط . ولكن التجني والرغبة في الإساءة دفعت معد الفيلم إلى أن لا يكمل الآية. فالآية تبين بعد ذلك حكم الأسرى فبعد أن يتحقق الإثخان، أي الغلبة والنصر فلا بد من أسر من لم يقتل، وبعد الأسر وعندما تضع الحرب أوزارها فإن حكم هؤلاء الأسرى الذين يجب معاملتهم المعاملة الحسنة - كما بيّنا - هو المن ، أي : إطلاق سراح الأسير دون مقابل، أو إطلاق سراحه بمقابل، على ضوء ما يقرر الحاكم المسلم تحقيقاً للمصلحة ، ومراعياً مبدأ المعاملة بالمثل .

(١٥) ثم يعرض الفيلم مشهداً فيه عدة صور : الأولى لمخرج الأفلام الهولندي ثيو فان جوخ الذي أخرج فيلماً أساء فيه إلى الإسلام ، والصورة الثانية لقاتله محمد بويري ، الذي يقر بقتل المخرج ويعبر عن فخره بذلك وعدم ندمه على ما فعل ، والصورة الثالثة لمظاهرة تهدد بالانتقام من كل من يسيء إلى الإسلام بأن مصيره هو مصير ثيو فان جوخ ، ويمسك بعض أفرادها بلوحات مكتوب عليها عبارات تحث على الجهاد ضد الصليبية الأوربية .

1 (محمد : ٤ .

2 (الإسراء : ٣٤ .

3 (الأنفال : ٥٨ .

والفيلم يحاول ربط هذا المشهد بصورة الثلاث بالآية الكريمة السابقة الذكر؛ ليدلل على ما زعمه من أن القرآن الكريم يحث على قتل غير المسلمين وسفك دمائهم. وهذا الربط لا يصح ولا يقبل، لما ذكر سابقا بخصوص الآية، وكذلك ما ذكر من آيات تحرم القتل وسفك الدماء.

وأما إيراد اللوحة المكتوب عليها ما يدعو إلى الجهاد ضد الصليبية الغربية، فهذه العبارة وأمثالها إنما يجب أن تفهم في السياق الذي بيناه، وهي في الواقع رد من بعض المتحمسين على ما صدر ويصدر من شعارات وتصريحات أثناء الحروب الظالمة التي خاضتها الدول الغربية تحت إشارات إلى أنها حروب صليبية ومقدسة، رغم معارضة المجتمع الدولي بأسره لها، فإذا كان هنالك من لوم على تصرف هؤلاء المستفزين المتحمسين، ونحن نؤيد ذلك، لكن أليس من الأولى أن يلام من اعتدى وقتل ودمر وأشعل النار في عدد من بلاد المسلمين، وما فعله محمد بويري فغير مقبول من وجهة النظر الإسلامية؛ لأن محاسبة هذا المخرج على ما فعله ليس من حق الأفراد القيام بها، فلها أصولها وقواعدها القضائية ووفق إجراءات بينها العلماء.

(١٦) ثم يعرض الفيلم مشهدا فيه عدة صور: الأولى: يظهر فيها رجل ملثم يحمل في يده اليمنى مصحفا، وفي اليسرى سيفاً. الصورة الثانية: صورة أيدٍ تحمل سكاكين وخناجر ملطخة بلون الدم. والصورة الثالثة: صفحات من بعض الصحف تتضمن تهديدات بقتل من يسىء إلى الإسلام.

وهذا نوع من التهويل والإثارة غير المقبولة يرفضها رفضاً قاطعاً ما بيناه من حقائق الإسلام وأحكامه بخصوص معاملة غير المسلمين، وأن هذه الأمور يجب أن تعرف حقيقتها وفي أي سياق جاءت؟ ولا يمكن استخدامها هذا الاستخدام العشوائي المغرض.

(١٧) ثم يعرض الفيلم مشهدا للشيخ عائض القرني، الداعية المعروف، وهو يحث على الجهاد ضد المعتدين.

فما الضير في أن يحث العلماء على مواجهة العدوان، والجهاد ما فرض في الإسلام إلا لرد العدوان ونصرة المظلومين ومنع فتنة الناس في دينهم. وهو ما بينته الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وشرحه العلماء قديما وحديثاً، مما يمكن الرجوع إليه في المصادر الإسلامية. فحقائق أي دين تؤخذ من مصادره ولا يقدمها أعداؤه والمحاربون له والراغبون في تشويهه والإساءة إليه.

(١٨) ثم يعرض الفيلم مشهدا لمجموعة من الملتصقين يعتدون بالقتل على المهندس الأمريكي "جاك هنسلي".

وهذه الصورة وأمثالها هو عمل لبعض الأفراد الذين لا يعرفون أحكام الإسلام، فخطف غير المقاتلين في الإسلام لا يجوز، وإن كانوا مقاتلين فهم أسرى وتطبق عليهم أحكام الأسرى، التي بيّنا، لما روي أن علياً رضي الله عنه قال: " ألا لا يجهزن على جريح ولا يتبعن مدبر ولا يقتلن أسير"^(١). وهنا لا يصح إغفال ردود الفعل العنيفة ضد الذين دمروا البلاد وشردوا الأهل ويطموا الأطفال ورملوا النساء، ولا نقول هذا تلمسا للعدز لهم فما فعلوه لا يجوز بحال من الأحوال وهو أمر مرفوض في الإسلام رفضاً قاطعاً ، ولكن لا بد من العدل في الحكم ومراعاة المثير والمثار .

(١٩) ثم يعرض الفيلم مشهداً فيه آية قرآنية وهي قوله تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾^(٢).

هذه الآية نزلت عقاباً للمنافقين، الذين كانوا يظهرن الإسلام ويخفون الكفر ويكيدون للمسلمين ويتآمرون عليهم، ويعرضونهم لأشد أنواع الأذى. فهي محاولة للإيقاع بهم وقتلهم. والعقاب الوارد في الآية أمر تقره قوانين جميع الدول ردعا للخائنين، وهو يعرف بعقوبة الخيانة العظمى .

وقد أورد الفيلم هذه الآية ليوهم المشاهد بأنها تأمر بقتل الكفار أينما وجدوا، وهو تجن واضح في سلسلة تجنّيات متلاحقة .

(٢٠) بعد ذلك يعرض الفيلم مشهداً به عدة صور، الأولى : يستطلع من خلالها حكم الإسلام فيمن يترك الإسلام إلى غيره من الديانات، وهو ما يسمى بالردة. والثانية: تظهر فيها عناوين لبعض الصحف تحمل تهديدات بالقتل لمرتدين كسلمان رشدي ، وإحسان جامع وحرصى علي .

وتعليقا على هذا نقول : تقرير الإسلام عقوبة قتل المرتد لم يكن لمنعه من اختيار دينه وعقيدته ولا لإكراهه على البقاء في الإسلام بعد دخوله فيه، وإنما جاء تشريعها حماية للنظام العام للدولة الإسلامية باعتبارها دولة تقوم على الإسلام ورعاية شؤونه ، حتى يمنع المتلاعبين بالأديان من الدخول فيه والخروج منه ، وجعله هزواً ، تشجيعاً على الخروج منه ، ومحاربة للإسلام والمسلمين ، كل ذلك حسب الهوى وبهدف الإفلات من بعض العقوبات التي يرتكبها الشخص وهو مسلم، وهو أمر أشار إليه القرآن الكريم كأسلوب من أساليب أعداء هذا الدين في محاربتة . قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ**

¹ أخرجه الطبراني وابن أبي شيبة . المصنف لابن أبي شيبة، ج ٨ ص ٧١١.

² النساء: ٨٩.

وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ . علما بأن هذه العقوبة يقيمها الحاكم وليس للأفراد الحق في إقامتها ، وأمثال هذه العقوبات معمول بها في جميع دول العالم ، ومقررة في بعض الديانات السماوية ، مثل معاقبة الجواسيس والخائنين لبلادهم .

فالدولة والمجتمع في الإسلام يقومان على تطبيقه ورعاية شؤونه ، وهذا أمر مُسَلَّم في الدراسات الفلسفية والمذهبية ؛ لأن الدولة الفكرية التي تقوم على فلسفة معينة أمر مقرر عند كل الفلاسفة والمفكرين وجدت وهي موجودة في كل العصور ، ومن حقها حماية نفسها ومجتمعها مما تعتبره خطرا عليها دون عسف أو ظلم ، وعلى أساس حق الإنسان الشخصي في أن يعتقد ما يشاء ، فمحاسبة المرتد لا تتصور إلا إذا أعلن وجاهر برده وأعلن مفارقتة لجماعة المسلمين في دولة ومجتمع يقومان على الإسلام ورعاية شؤونه ، أما الأصل في حرية الاعتقاد فقررته مثل قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) . وقوله سبحانه : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾^(٣) . وأما الحساب عنه فهو شأن الله عز وجل ولا ينازع في ذلك منازع .

وهنا لا بد من التنبيه على أن إطلاق لفظ الكفر على المخالف في الاعتقاد أمر التقت عليه كل الديانات السماوية ، وهي بمعنى أنه جعل بينه وبين الإيمان بالدين ساتراً . وتسميته بالكافر لا تحرمه من حقوقه المقررة بنصوص عديدة كما بينا . فهؤلاء الكفار الذين عاشوا في الدولة الإسلامية وكانت نصوص العهود والمواثيق التي اعتبروا بموجبها من مواطني الدولة تذكر بوضوح أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وإن الجزية التي كانوا يدفعونها ضريبة مواطنة ومشاركة في مسؤوليات الدولة وعنوان التزام بواجبات المواطنة فيها . وقد جاءت نصوص العهود والمواثيق تقول : " فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا " . ولا يشترط أن تسمى بهذا الاسم كما بين العلماء وهي مبالغ معقولة ومتناسبة مع ما يقدم لهم من رعاية من الدولة باعتبارهم أهل ذمة ، أي : لهم ذمة الله ورسوله لا يجوز أن يقصر في رعاية حقوقهم وإلا كان نقضاً للعهد مع الله ورسوله . ومن ذلك حمايتهم من أي عدوان ، وتقديم كل خدمة عامة لهم مما يقدم لرعايا الدولة .. مما نحن هنا لسنا بصدد تفصيله .

ولا بد من بيان أن التهديد الوارد بالقتل لهؤلاء المرتدين من بعض الأفراد لا يجوز شرعا ؛ لأنهم ليسوا المسؤولين عن إقامة العقوبات ، وخاصة إذا كان المرتد يقيم في دولة غير إسلامية .

1 (آل عمران : ٧٢ .

2 (البقرة : ٢٥٦ .

3 (الكهف : ٢٩ .

وإذا كان هذا هو الموقف الإسلامي من المتلاعبين بالدين، وتلك عقوبته العادلة للخائنين لدولهم، والمفارقين لأممهم يثير الاستغراب أو النقد عند بعض الناس، فعليهم أن يقارنوا ذلك بما جاء في العهد القديم بهذا الشأن، والذي لا يعاقب على فعل قد حدث بل على مجرد التفكير فيه، ولا يكتفي بالعقوبة الفردية بل العقوبة الجماعية، وبما يشمل البهائم والأمتعة، أما أن المقصود فقط هو الهجوم على الإسلام والمسلمين للأسباب التي ذكرناها في مطلع هذا الرد. ونورد هذا النص هنا لبيان أن معاقبة المرتد شأن تلتقي عليه الديانات، وأن بعضها يغلظ العقوبة تغليظاً منقطع النظير، وتعطى حق تطبيقها للأفراد وليس للدولة. فهذا نص ما جاء في سفر التثنية ١٣: (٢) إذا قام فيما بينكم مُتَّبِئٌ أو حَالِمٌ حُلْمٍ، فَوَعَدَكُم بِمُعْجَزَةٍ أَوْ عَجِيبَةٍ ٣ وَتَمَّتْ هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ أَوْ الْعَجِيبَةُ وَقَالَ لَكُمْ: « إِذَا، تَعَالَوْا بِنَا إِلَى آلِهَةٍ غَرِيبَةٍ لَمْ تَعْرِفُوهَا فَتَعْبُدُوهَا »، ٤ فَلَا تَسْمَعُوا لِكَلَامِهِ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِيَعْلَمَ هَلْ أَنْتُمْ تُحِبُّونَهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ. ٥ الرَّبُّ إِلَهَكُمْ تَتَّبِعُونَ وَبِهِ تَتَّقُونَ، وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ، وَلِصَوْتِهِ تَسْمَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وَبِهِ تَتَمَسَّكُونَ. ٦ وَذَلِكَ الْمُتَّبِئِيُّ أَوْ حَالِمُ الْحُلْمِ يُقْتَلُ، لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ لِيَصْرِفَكُم عَنِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ. ٧ وَإِنْ أَغْرَاكَ فِي الْخَفَاءِ أَخُوكَ أَوْ ابْنُ أُمَّكَ، أَوْ ابْنُكَ، أَوْ ابْنَتُكَ، أَوْ أَمْرَأَتُكَ الَّتِي فِي حَرَمِكَ، أَوْ صَدِيقُكَ الَّذِي هُوَ كَنَفْسِكَ، فَقَالَ لَكَ: «تَعَالَى نَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَا نَعْرِفُهَا أَنْتَ وَآبَاؤُكَ ٨ مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوَالِيَكُمْ، الْقَرِيبِينَ مِنْكُمْ وَالْبَعِيدِينَ عَنْكُمْ، مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ إِلَى أَقَاصِيهَا»، ٩ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلَا تَسْمَعْ لَهُ، وَلَا يَتَوَجَّعْ قَلْبُكَ عَلَيْهِ، وَلَا تَتَحَمَّلْهُ، وَلَا تَسْتُرْ عَلَيْهِ، ١٠ بَلْ أَقْتُلْهُ قَتْلًا. يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوْلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي سَائِرِ الشُّعْبِ أَخِيرًا. ١١ تَرْجَمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، لِأَنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يُبْعِدَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ دَارِ الْعِبُودِيَّةِ.

٣ وإذا سمعتم عن إحدى مدنكم التي أعطاكم الربُّ الهكم لتقيموا بها قول قائل: ١٤ «خَرَجَتْ زُمْرَةٌ مِنْ بَيْنِكُمْ وَقَالُوا لِأَهْلِ مَدِينَتِكُمْ لِيُبْعِدُوهُمْ عَنِ الرَّبِّ:» تَعَالَوْا نَعْبُدْ آلِهَةَ غَرِيبَةٍ لَا نَعْرِفُونَهَا»، ١٥ فَابْحَثُوا وَأَسْأَلُوا عَنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ جَيِّدًا، فَإِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ هَذَا الرَّجْسَ صُنِعَ فِيمَا بَيْنَكُمْ ١٦ فَاضْرِبُوا أَهْلَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَحَلَّلُوا قَتْلَ جَمِيعِ مَا فِيهَا حَتَّى بِهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٧ وَأَجْمَعُوا جَمِيعَ أُمَّتِهَا إِلَى وَسْطِ سَاحَتِهَا، وَأَحْرَقُوا بِالنَّارِ تِلْكَ الْمَدِينَةَ بِكُلِّ مَا فِيهَا، قُرْبَانًا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ. فَتَصِيرُ رُكَامًا إِلَى الْأَبَدِ، لَا تُبْنَى مِنْ بَعْدُ.

(٢١) ثم يعرض مشهداً يظهر فيه خطيب يقول: إن الله لا يقبل غير دين الإسلام.

أورد الفيلم بعض التعبيرات لبعض الأشخاص، والتي تشير إلى الخاصية العقدية للإسلام، والتي تميزه عن غيره من الأديان الأخرى، لكونه خاتم الأديان السماوية، وشريعته تامة مكتملة لأنها خاتمة الشرائع الإلهية التي تعالج جميع

المشكلات الإنسانية، وتلبي حاجاتها في مختلف الأزمان والأماكن، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الخاصية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). ولما كان القرآن الكريم كلام الله الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، وبيّن فيه أن الدين الحق عند الله هو الإسلام كان على المسلمين وعلى جميع من في الأرض أن يؤمنوا به. ولكن لا بد من الانتباه إلى أن هذا هو حكم الله؛ حثاً للناس جميعاً على الإيمان بدينه الخاتم، ولكن من حيث الأحكام الدنيوية فلا إكراه في الدين ويعامل أصحاب الأديان وبخاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى معاملة خاصة في النظر الإسلامي كما بيّنا سابقاً.

هذا، وإذا كان الفيلم يستغرب هذا الأمر عن الإسلام ويحاول أن يثير غير المسلمين عليه لهذا السبب، فلماذا يغيب عنه أن هذا شأن كل دين؟ فكل دين يعتقد أتباعه أن دينهم الدين الصحيح، وأن من لم يؤمن به فهو كافر ولا ينجو عند الله تعالى، وإلا فماذا يقول فيما تردده الكنيسة الكاثوليكية - على سبيل المثال - وعلى أنه من قول المسيح عليه السلام، وتقول فيه: إن الديانة الحقيقية الوحيدة هي التي تقوم عليها الكنيسة الكاثوليكية وأنها عنوان الخلاص لكل البشر! وهذا نص ما تردده: (ونعتقد أن الديانة الحقيقية الوحيدة تقوم في الكنيسة الكاثوليكية الرسولية التي عهد إليها السيد المسيح بمهمة نشرها بين جميع الأمم عندما قال لرسوله: (اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم معمدين إياهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر...) متى (٢٨/١٩ - ٢٠)^(٢). ومن يعنى النظر في هذا النص يجده لا يقر بطلان الديانة اليهودية وغيرها من العقائد الأخرى التي كانت قائمة في ذلك العهد فقط، وإنما يقر أيضاً بطلان كل المذاهب المسيحية الأخرى، كالأرثوذكسية، والبروتستنتينية، ومن باب أولى الحكم على بقية الأديان غير الطوائف المسيحية، مثل الإسلام والبوذية وغيرهما.

(٢٢) ثم يعرض الفيلم مشهداً يعرض تلاوة لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

حاول الفيلم إقحام هذه الآية للاستدلال على أنها تدعو إلى قتال غير المسلمين، وعدم قبول أي دين آخر. وهذا غير صحيح، لأنها أولاً: تتحدث عن قتال بين طرفين وليس قتلاً من طرف لآخر. وثانياً: أنها تتحدث عن وجوب قتال المشركين الذين

^١ آل عمران: ٥٨.

^٢ الموسوعة العربية المسيحية. المجمع الفاتيكاني الثاني. بيان في الحرية الدينية: الجلسة العلنية ٧ كانون الأول سنة ١٩٦٥.

^٣ الأنفال: ٣٩.

يحاولون إكراه المسلمين على ترك دينهم ، فالقتال في الآية مقيد بحالة دفاع المسلمين عن دينهم وحرية اتباعه للناس جميعاً ، فأى عنف تأمر به الآية ! وهي تنهى عن القتال إن انتهى المشركون عنه.

(٢٣) ثم يعرض الفيلم مشهداً به ثلاث صور: الأولى لزعماء سياسيين : المرشد الأعلى للثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي ، الذي بيّن أن الإسلام يهدف إلى حكم العالم ، والرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد ، الذي قال : إن رسالة الثورة (الإيرانية) عالمية ، وهي غير محصورة في مكان أو زمان معين ، وأن الإسلام سينتشر على جميع قمم جبال العالم. والصورة الثانية لخطباء دينيين يتحدثون عن انتشار الإسلام في العالم وحكمه له. والصورة الثالثة وهي لمتظاهرين يحملون لافتات تبشر بانتشار الإسلام في الغرب ، وقضائه على الحريات فيه .

هذا المشهد بصوره الثلاث ليس فيه إلا التأكيد على أن الإسلام دين عالمي يسعى لإيصال رسالته لجميع الناس ، وفيها التبشير بانتشار الإسلام في ربوع العالم من منطلق أن الناس سيدخلون فيه حُباً في مبادئه السامية وقيمته السمحة ، وليس بالإكراه والسيطرة والاستعمار بمعنى الاضطهاد وقتل الحريات التي يحاول الفيلم إبرازها ، والتي تتنافى في حقيقتها مع مبادئ الإسلام التي جاءت لنشر الحرية والعدل والقيم الفاضلة ، مع ملاحظة ضبط الإسلام للحريات بما يعود بالخير على المجتمعات الإنسانية ، ويدفع عنها الأضرار . وملاحظة تأكيده المستمر على أن الدعوة إليه تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة التي هي أحسن . قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(١) .

وأما حديث الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد فنرى أنه خطاب سياسي يراد منه بيان عالمية رسالة الثورة الإسلامية الإيرانية ، وأن قيمها ستحل محل القيم الغربية التي تدعو إلى الديمقراطية والرأسمالية والعولمة في باقي دول العالم . وهو يماثل أحاديث الساسة الغربيين عن عالمية الديمقراطية والعولمة والرأسمالية وغيرها وبالتالي لا يجوز توظيف هذا الكلام للاستدلال على أن الإسلام يريد أن يغزو العالم ويفرض أفكاره على الشعوب . وقد ناقش كثير من المفكرين الغربيين أنفسهم فرية انتشار الإسلام بالسيف وبالإكراه . وإنما ندعو معد الفيلم وأي شخص يتشكك في موقف الإسلام هذا إلى أن يقرأ كتاب سير توماس أرنولد بعنوان " الدعوة إلى الإسلام " ، والذي أوضح فيه بالدليل وباستعراضه لدخول الإسلام في البلاد التي دخل

¹ (النحل : ٢٥ .

فيها أن دخوله كان بالإقناع ، وليس بالسيف ، وبما سماه : (المظهر العملي للاتباع) ، أي : القدوة العملية الراشدة في الالتزام بالإسلام الذي فيه خير الإنسانية .

مع ملاحظة أن حديث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن انتشار الإسلام في ربوع العالم يراد به الانتشار بقبول الناس له عن رضا وقناعة ، بسبب عدالة أحكامه وسمو مبادئه ونبل قيمه وخلق أتباعه ، وليس المراد به الانتشار بقوة السلاح وسفك الدماء ونهب الثروات من خلال المعارك والغزو ، يؤيد ذلك تاريخ الدولة الإسلامية الذي يؤكد بشهادة المفكرين الغربيين لهذه المعاني ، والتي من أهمها : أن الدولة الإسلامية كانت تكفل مصالح الأمم التي تدخل تحت سلطانها ، وخاصة في الأمور المالية والاقتصادية التي هي من أهم أسباب الاحتلال في أيامنا هذه . وفي هذا السياق يُذكر قول غوستاف لوبون في كتابه **حضارة العرب** : " ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب " (١) .

(٢٤) ثم يعرض الفيلم مشهداً به صور لبعض المساجد في هولندا ، وتعليقات بأنها ستكون جزءاً من النظام الأوروبي ، وصور لمنقبات ومحجبات يسرن في شوارع هولندا ، وصورة تظهر إحصائيات لتنامي أعداد المسلمين فيها وفي أوروبا . وصورة لبعض أفراد البوليس وهم يخلعون أحذيتهم عند دخول المسجد .

إبراز الفيلم لهذه المشاهد يتعارض مع المبادئ والقيم التي بنى الغرب عليها أنظمتها الاجتماعية والقانونية ، والتي يلزم منها منح الحرية للمسلمين في إقامة دور العبادة وارتداء ما يرونه مناسباً لأحكام عقيدتهم ، أما الزيادة في أعدادهم فقد حدثت بناء على حاجة الدول الأوروبية لكفاءاتهم وقدراتهم العلمية والعملية التي عادت على تلك الدول بالكثير من الفوائد والتقدم في مختلف المجالات ، مع عدم إغفال الضرر الذي لحق ببلدانهم الأصلية ومجتمعاتهم بسبب هجرتهم تلك .

وليس هناك داعٍ للتخوف من احترام القيم الإسلامية التي عبر عنها رجال البوليس عند دخولهم المسجد ، فليس فيه إلا الاحترام المتبادل للمقدسات بين الأمم والشعوب .

(٢٥) ثم يعرض الفيلم مشهداً به عدة صور ، بعضها به أفراد وخطباء يتحدثون عن حرمة الزنا واللواط وعقوبتهما ، ثم صور لبعض النساء والشباب تقام عليهم العقوبات على جرائم الشذوذ الجنسي . ثم صور تعرض أطفالاً ضرجت وجوههم بالدماء ، ، كما عرضت صورة أخرى لطفلة يُجرى لها الخفاض ، وصورة رأس مقطوع لامرأة ملقى على الأرض ، وامرأة تضع البرقع تقام عليها عقوبة ، وتسجيل صوتي لخطيب يأمر بعدم احترام النظريات والمفاهيم الغربية

¹ (انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي . د. وهبة الزحيلي : ص ١٢٨ .

كالديمقراطية والليبرالية والعلمانية ونحوها . ثم صور لبعض عناوين الصحف تتضمن قصصا حول الإسلام في هولندا ، وآراء وأعمال وطموحات وسياسات أهمها ما يلي :

- السودانيون يطالبون بشنق صاحبة الدب تيدي ، والتي أطلقت على الدب (اللعبة) اسم الرسول العظيم ﷺ .
- نصف المغاربة تقريبا مناوئون للغرب .
- المغاربة يلقون شاذا جنسيا في الماء .
- الإشارة إلى أن حكم الإسلام في الشواذ هو إلقاءهم من المباني المرتفعة .
- " القاعدة " تطالب بعقوبة الإعدام والجهاد ضد ولدرز .

وينتهي الفيلم بعرض يد تقطع صفحة من القرآن ، ودعوة من ولدرز لهزيمة " الفكر الإسلامي " مشبها إياه بالشيوعية والنازية .

استغل الفيلم بعض العقوبات التي جاءت بها شريعة الإسلام ، للحفاظ على القيم والأخلاق والأنساب ، والتي تعزز التوازن المجتمعي ، وتجنب العالم الأمراض والمشكلات التي تفرزها العلاقات الجنسية غير الطبيعية ، كالإيدز ، وازدياد أعداد الأطفال غير الشرعيين ، وحاول من خلال كل ذلك إظهار أن العنف ليس قاصرا على المخالفين في الدين ، وإنما يطال أيضا المسلمين أنفسهم ، ومن تلك العقوبات : معاقبة الزناة ، والشواذ جنسيا .

والإسلام بتقريره لتلك العقوبات لم يقررها بقصد الانتقام والعنف وسفك الدماء ، وإنما فائدتها عائدة إلى المجتمع بأسره ، بتثقيته من الجرائم .

والإسلام له منهج خاص في محاربة الجريمة يقوم على تربية الأفراد وتوجيههم نحو الخير والفضيلة ، ويقوم على إقامة رقابة اجتماعية تصون المجتمع من الوقوع في الانحراف ، وتقوم على العلاج الوقائي ضد الجرائم بالقضاء على أسبابها وما يدفع إليها ، وتقوم على العقوبة الصارمة الرادعة التي تمنع الذين يفكرون بارتكاب الجرائم من ارتكابها فيما يصون المجتمع من مشكلات الجريمة وآثارها السيئة . ونظراً لصرامة العقوبات فقد تم الاحتياط في إثباتها حتى يجري إيقاعها في أضيق الحدود .

والإسلام ليس بدعا في ذلك ، فقد سبقته الديانة اليهودية في تقريرها لتلك العقوبات ، ومما أورده العهد القديم بهذا الشأن ما جاء في سفر اللاويين فصل ٢ ونصه : (١٠ وكلُّ مَنْ زنى بامرأةٍ إسرائيليٍّ آخَرَ يَقْتُلُ الزَّانِي والزَّانِيَةُ . ١١ وإنْ ضاجَعَ

أحدُ زوجة أبيه كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، فليُقْتَلَا كِلَاهُمَا، ١٢ وإن ضاجعَ أحدُ كَتَنَتْهُ ورأى عورتها ورأت عورته، فهذا عارٌ، فليُقْطَعَا مِنْ بَيْنِ شَعْبَيْهِمَا أَمَامَ عُيُونِ بَنِي شَعْبَيْهِمَا. هوَ كَشَفَ عَوْرَةَ أُخْتِهِ فَتَحَمَّلَ عَاقِبَةَ إِثْمِهِ. ١٣. وإن ضاجعَ أحدُ ذَكَرًا مُضَاجِعَةَ النِّسَاءِ فَكِلَاهُمَا فَعَلَا أَمْرًا مَعِيْبًا فَلْيُقْتَلَا وَدَمُّهُمَا عَلَى رَأْسَيْهِمَا. ١٤ وإن أخذَ أحدُ أَمْرَاءَ وَأُمَّهَا، فَتِلْكَ فَاحِشَةٌ. فَيُحْرَقُ هُوَ وَهِيَ بِالنَّارِ، وَلَا تَكُنْ فَاحِشَةً كَهَذِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ. ١٥ وإن ضاجعَ أحدُ بَهِيمَةً، فَيُقْتَلُ هُوَ وَالبهيمَةُ قِتْلًا. ١٦ وإن اقتربتِ أَمْرَاءُ إِلَى بَهِيمَةٍ لِيُضَاجِعَهَا، تُقْتَلِ المَرَأَةُ وَالبهيمَةُ قِتْلًا وَدَمُّهُمَا عَلَى رَأْسَيْهِمَا.

١٨ « وإن ضاجعَ أحدُ أَمْرَاءَ طَامِئًا وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، فَعَرَى مَسِيلَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ عَن سَيْلِ دَمِّهَا، فَلْيُقْطَعَا كِلَاهُمَا مِنْ بَيْنِ شَعْبَيْهِمَا. ٢٠ وإن ضاجعَ أحدُ زوجةَ عَمِّهِ كَشَفَ عَوْرَةَ عَمِّهِ. هُمَا يَتَحَمَّلَانِ عَاقِبَةَ خَطِيئَتَيْهِمَا، فليَمُوتَا مَنبُودَيْنِ. ٢١ وإن أخذَ أحدُ زوجةَ أَخِيهِ، فَهَذَا جَرْمٌ. هُوَ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ، فليَكُونَا كِلَاهُمَا مَنبُودَيْنِ. »

أيضا استغل الفيلم بعض العادات التي ورثتها بعض الأمم منذ القدم ، مثل : عادة خفاض الإناث، التي تعد من الأمور الجائزة في شريعة الإسلام من حيث فعلها وعدمه ، لأن الأمر فيها متروك للشخص حسب إرادته ، فإذا ثبت بالتقدم الطبي ضرر ذلك فيجب عدم اللجوء إليها .

أما بالنسبة لما جاء على لسان الخطيب الذي يدعو إلى مناهضة النظريات والمفاهيم الغربية ، فيجاب عليه بأن الإسلام لا يعادي أي فكر أو نظام طالما أنه يعود بالخير وبالنفع على المجتمع الإنساني. ولا يتعارض مع مبادئ الإسلام وأحكام شريعته ، وقد أصدرت المؤسسات الدينية الإسلامية قرارات تحث المسلمين الذين يعيشون في البلاد غير الإسلامية على التعايش في تلك البلاد مع مواطنيها والتزام أنظمتها طالما أنها لا تتعارض مع أحكام دينهم .

أما ما أثير بخصوص السودانيين الذين يطالبون بشنق صاحبة الدب (اللعبة) تيدي . فسببه ظن الجماهير السودانية المسلمة بأنها تتعمد الإساءة إلى دينهم ونبيلهم ومقدساتهم ، وطلبهم معاقبتها كان بناء على أن الفعل الذي حدث يعتبر اعتداء على مقدساتهم وحرمتهم ، والجهات القضائية في الدولة هي المسؤولة عن ذلك وليس الأفراد.

أما بالنسبة لما ذكر من مناوئة نصف المغاربة للدول الأوروبية فإن مرد ذلك راجع إلى أمور عدة، منها: ما لحق أهل هذه البلاد من ظلم واضطهاد وابتزاز ومحالات محو تاريخهم وثقافتهم وفرض ثقافة المحتل أثناء احتلال وغزو الدول الغربية لتلك البلاد، ومنها ما يلاقيه هؤلاء المغاربة في بعض البلاد الغربية ، وفي حالات معينة ، من سوء معاملة وتمييز وتفرقة فيما بينهم وبين أقرانهم من المواطنين الأصليين لتلك

البلاد، رغم ما قدمه هؤلاء وآباؤهم وأجدادهم لبلاد الغرب من تضحيات وإسهامات في بناء المجتمعات الغربية .

أما بخصوص تشبيه الإسلام بالشيوعية أو النازية، فهو تشبيه ينبئ عن جهل بالفرق بين الديانات السماوية وبين النظريات البشرية الوضعية التي تحكمها الأهواء والمصالح، والتي أثبتت الوقائع التاريخية فداحة خطئها وفشلها في معالجة المشكلات الحياتية للمجتمعات الإنسانية، دولية كانت أو محلية في جميع المجالات . وهذه النظريات لم تجد قبولا لدى القاعدة العريضة من المجتمع الإنساني. ومن كانوا يعملون تحت رايتها لم يكونوا جميعا من المؤمنين بها، فهم كانوا بين متظاهر بتبني أفكارها والعمل من أجلها رغم عدم إيمانه بها، بل كان دافعه إلى ذلك تحقيق مصالح شخصية ومكاسب ذاتية، وآخر مكره على التظاهر بالإيمان بها بسبب تسلط قادتها وأتباعها، وثالث وتمثله قلة قليلة ممن آمنوا بتلك النظريات وانبهروا بها وأكروهوا الناس على الإيمان بها. والدليل على ذلك أنها لم تمكث طويلا، بل سرعان ما انهارت، وكان انهيارها محل سعادة الشعوب التي خضعت لسلطانها، وأكرهت على العمل بأنظمتها. وقد كان من أسباب انهيارها وزوالها إما تخلي زعمائها وقادة فكرها عن حمايتها وتبني أفكارها، أو محاربة العالم لها، وفور انهيارها وسقوط قلاعها راح أتباعها والمؤمنون بها يبحثون عن بديل لها يحل مشكلاتهم ويفي بمتطلباتهم. وهذا بخلاف ما عليه الإسلام الذي جاء من عند الله بعقيدة صافية، وشرعية كاملة تامة تعالج جميع القضايا الإنسانية والمشكلات البشرية وتجعل من المجتمع الإنساني مجتمعا نموذجيا متكاملًا متعاونًا يحب بعضه بعضًا، والدليل على هذا استمراره بعقيدته وشريعته على مدى ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان، دون تغيير أو تبديل، ويتأكد هذا كل يوم بزيادة المؤمنين به، وبتمسك أتباعه بأحكامه وقيمه ومبادئه، واستعدادهم الدائم للتضحية من أجلها، رغم المحاولات الكثيرة والمستمرة التي لم تتوقف عن النيل منه، ومن أتباعه. وعلى هذا فتشبيه الإسلام وغيره من الديانات السماوية التي لها عشرات القرون بتلك النظريات والنظم الوضعية أمر غير مستقيم؛ لأنه يخالف الواقع التاريخي .

أما بالنسبة للتهديدات التي صدرت بحق المخرج المتطرف لهذا الفيلم الذي ينبئ عن جهل بمنزلة الديانات السماوية، وقدسيتها وهو مما لا يدركه ذلك المخرج وأمثاله من المتطرفين الذين لا هم لهم إلا إثارة العداوات وزرع الكراهية بين الأمم والشعوب والأديان، متسترين في ذلك برداء الحرية التي لا تحترم حقوق الآخرين ولا مقدساتهم. فكل الأصوات العاقلة في العالم الإسلامي والتي يقودها العلماء والدعاة تدعو إلى الابتعاد عن ردود الفعل، وتطالب الجهات المعنية في دولته بمعاقبته على ما اقترف من أفعال رفضها المسؤولون في دولته قبل غيرهم .

وهنا لا بد أن نبين أن حكم الإسلام في هؤلاء وأمثالهم أنهم لو كانوا في بلاد الإسلام يعرضون على ولي أمر المسلمين فينظر فيهم وفي مدى خطورتهم ومدى إصرارهم على الاستمرار في مثل هذه الأمور التي قد تترتب بسببها أحداث جسام بين الأمم، وكما يقول الشاعر : ومعظم النار من مستصغر الشرر . وولي الأمر والجهة المختصة في الدولة هي التي تنزل بهم العقوبة التي تناسب حجم جريمتهم وما قد يترتب عليها ، لكن إذا كان هؤلاء في بلد غير إسلامي ولم يكن بلدهم محاربا للإسلام وتربطه بالمسلمين علاقات كثيرة في مجالات مختلفة فينبغي على دولته أن تنزل به وبأمثاله العقوبة المناسبة التي تحقق الردع له ولأتباعه والزجر لمن يفكر في إثارة الفتن والعداوات بين الأمم والشعوب ، ولسنا نؤيد ما أثير من وجوب قتله من بعض المسلمين ؛ لأن الإسلام يحترم حقوق الدول وحدودها ، ولكن يجب على تلك الدول وحكامها أن يقابلوا الحسنة بالحسنة ، والمعاملة بالمثل قاعدة مقررة في الإسلام وفي الأعراف الدولية .

وإذا كانت الدول الإسلامية تقف مع الغرب في الحرب على ما يسمى بالإرهاب وتعاقب متطرفيها جزاء لما يقترفونه في حق الآخرين فينبغي على تلك الدول أن تقف مع المسلمين من منطلق مبدأ المعاملة بالمثل الذي ذكرناه ، وتعاقب متطرفيها لأنه لا فرق بين تطرف إسلامي وتطرف غربي علماني أو مسيحي أو يهودي فالتطرف هو التطرف والآثار المترتبة عليه من جميع الوجوه واحدة ، ولا مجال كذلك للحديث عن حرية التعبير عن الرأي التي تمثل عدوانا على حقوق ومقدسات الآخرين . فالحرية المطلقة ولو بسبب الآخرين والاعتداء على حرياتهم هي الفوضى بعينها ، ولا يمكن لأي دولة متحضرة أن تقبل بها .

وختاما نود التذكير بأن الهجمات المسيئة إلى الإسلام ونبيه ورموزه التي كثرت من قبل الغرب في الآونة الأخيرة ، رغم شراستها وثورة المسلمين ضدها ، لم تسجل إلا بعض ردود الفعل هنا أو هناك بسبب التعقل وعدم الانفعال من الذين ردوا عليها وما قام به الدعاة والساسة من تهدئة وإتاحة الفرصة للردود المتزنة والاتصالات الجادة .

وهذه الهجمات على الإسلام ونبيه ورموزه ليست بالأمر الجديد أو الطارئ لسبب أو لآخر ، بل هي حرب فكرية قائمة على التحامل والكذب وتغيير الحقائق ، تلبس حيناً لبوس الجدية والعلم بهتاناً وزوراً ، وتعتمد حيناً آخر أسلوب السخرية والاستهزاء⁽¹⁾ . وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فذكر صفات بعض الذين يعادون الإسلام . قال تعالى : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا

¹ انظر تفصيل ذلك في البحوث التي قُدمت عن الغزو الفكري والذي درسه المجمع في دورته السابعة . مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي . العدد السابع ، الجزء الرابع .

وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيَا بِأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴿١﴾ . وكان هنالك فريق من أعداء الإسلام سمي بالمستهذئين منذ زمن رسول الله ﷺ . قال تعالى : ﴿ قُلْ أِبَالَهُمْ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ﴿٣﴾ .

وظل الإسلام يتعرض لهذه الهجمات عبر تاريخه الطويل وانبرى العلماء والدعاة للرد عليها بكل جدية وموضوعية ، ففشلت وزهبت أدراج الرياح ، وظل الإسلام قوياً عزيزاً يؤدي دوره في تحقيق خير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، لا تضعفه المطاعن والشبهات ، ولا تفل قناته المهاترات والتجنيات . وقد قال المرحوم الأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه " حياة الرسول ﷺ " بعد أن استعرض طرفاً منها : " رأيت الحضيض الذي هوت إليه هذه الطائفة من كتاب الغرب ؟ رأيت إصرارهم ، مع توالي القرون على الضلال وعلى إثارة العداوة والبغضاء بين أبناء الإنسانية ؟ ومن هؤلاء من جاءوا في العصور التي يسمونها عصور العلم والبحث والتفكير الحر وتقرير الإخاء بين الإنسان والإنسان . قد يخفف من أثر هذا الضلال قيام أولئك المنصفين إلى حد ما ، ممن أشار إليهم درمنجم ، ومنهم من يقر بصدق إيمان محمد بالرسالة التي عهد الله إليه تبليغها من طريق الوحي ، ومنهم من يُشيد بعظمة محمد الروحية ويسمو خلقه ورفعة نفسه وجم فضائله ، ومنهم من يصور ذلك في أقوى أسلوب وأتمه روعة . وإن بقي الغرب مع ذلك ينال من الإسلام ونبيه أشد النيل ، ثم تبلغ منه الجرأة حتى يبث المبشرين في أنحاء البلاد الإسلامية يذيعون مثالبهم الوضيعة ، ويحاولون صرف المسلمين عن دينهم إلى المسيحية " ﴿٤﴾ .

وكلمة أخيرة نقولها لمعد الفيليم والمدافعين عنه : ماذا تقولون في مئات الدراسات والأقوال التي أشاد فيها المفكرون الغربيون والعلماء المختصون في الغرب بالإسلام وإنجازاته الحضارية التي ملأت طول التاريخ وعرضه ؟ ، وكذلك إشاداتهم برسوله الكريم وقرآنه العظيم مما يصلح محلاً لتأليف مستقل .

ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما كتبه المفكر مايكل هارت في كتابه " أعظم مائة شخصية في تاريخ البشرية " والذي كان محمداً ﷺ في طليعتهم وقال معلقاً على ذلك : " إن اختياري لمحمد ليتصدر قائمة أشد الناس تأثيراً في التاريخ قد يفاجئ بعض القراء ، وقد يشكك فيه البعض الآخر ، لكن محمداً هو الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق نجاحاً ساحقاً في الوجهين الديني والدنيوي . أتى محمد بأحد أديان العالم

١ (النساء : ٤٦ .

٢ (التوبة : ٦٥ .

٣ (الحجر : ٩٥ .

٤ (محمد حسين هيكل . حياة محمد : ١٩ .

العظيمة ، وأظهر هذا الدين للعالم وعرف به ، وأضحى محمد قائداً سياسياً ذو تأثير طاع ، واليوم بعد مرور ١٣ قرناً على وفاته ، لا زال تأثيره قوياً ومنتشراً ، ككل الأديان ، فإن الإسلام يمتلك تأثيراً طاعياً على أتباعه ، ولهذا السبب فإن مؤسسي الأديان العالمية العظيمة أتوا في هذه القائمة ^(١) ، ثم أخذ يبين لماذا قدمه في الترتيب على غيره موضحاً جوانب عظمتها مما يشمل الجوانب الدينية والمادية قائلًا : " إن هذا الجمع بين التأثير الديني والتأثير الدنيوي هو الذي يجعلني أشعر أن محمداً يستحق أن يُعتبر أعظم الأفراد تأثيراً في التاريخ " ^(٢) .

ومما يذكر هنا قول برنارد شو : " إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المذنبات ، خالداً خلود الأبد ، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة ، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في القارة (يعني أوروبا) . إن رجال الدين في القرون الوسطى ، ونتيجة للجهل أو التعصب ، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة ، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية ، لكنني أطلعت على أمر هذا الرجل ، فوجدته أعجوبة خارقة ، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية ، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية ، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم ، لوفق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها " ^(٣) .

ولا بد من إشارة أخيرة إلى آثار الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية المعاصرة ، والتي اعترف بها المنصفون منهم . يقول بريفوت في كتابه " بناء الإنسانية " : " ليس ثمة ناحية من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاعها إلى مؤتمرات الثقافة العربية الإسلامية " . ويكفي الإشارة هنا إلى استفادتهم للمنهج التجريبي من الحضارة الإسلامية على يدي روجر بيكون وفرانسيس بيكون حتى أن الفصل الخامس من كتاب فرانسيس بيكون هو ترجمة حرفية لكتاب **البصريات** للحسن بن الهيثم . قال تعالى : **﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾** ^(٤) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

انتهى والحمد لله

1 (مايكل هارت . الخالدون المائة : أعظم مائة شخصية في تاريخ البشرية .

2 (المصدر السابق .

3 (برنارد شو .

4 (هود : ٨٥ .